فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الرابعة، العدد الأول (المتوالي ٧)
خريف و شتاء ١٣٩٩ش/ ١٤٤٢ق. من صفحة ١٢٣ الى ١٣٥

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 4, No. 1, (Issue 7) Autumn & Winter 2020-2021; pp. 123-135

مقالهٔ پژوهشی **Original Research**

مكانة سياق الصدور في خطب نهج‌البلاغة استنادًا إلى موضوع الأخلاق الاجتماعية

سيد حيدر أشرف آل طه[١]، علي أسودي[٢]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٣/٠٥ **تأريخ القبول: ١٤٤٢/٠٦/١٩**

١. أستاذ مساعد في القرآن والحديث في مركز تعليم اللغات بجامعة الإمام الصادق (ع)، طهران، إيران (الكاتبة المسؤول)؛ aletaha222@isu.ac.ir

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران؛ asvadi@khu.ac.ir

The significance of the Context of Issuance in the Sermons of Nahj-ul-Balagha Based upon Social Ethics

Seyyed Haydar Ashraf Altaha[1], Ali Asvadi[2]

Received: 2020/10/22 **Accepted: 2021/11/14**

1. Assistant Professor in Language Education Center of Imam Sadegh (PBUH) University, Tehran, Iran (Corresponding Author); aletaha222@isu.ac.ir
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran; asvadi@khu.ac.ir

10.30473/ANB.2021.53386.1209

الملخص

يشير سياق صدور الأحاديث إلى الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية للمجتمع التى كانت سائدة في زمن صدور الحديث. مع الأخذ في الاعتبار أن جزءًا كبيرًا من أقوال المعصومين (ع) كانت مبنية على احتياجات الأفراد أو المجتمع في عصرهم، فإن معرفة وفهم سبب صدور كلامهم له تأثير كبير في الفهم الصحيح لكلماتهم. في هذا الصدد، تكون الخطب أكثر أهمية في هذه الحالة لأنها تُلقى حسب متطلبات الوقت وأفكار المتحدثين. يستخدم هذا البحث المنهج الوصفى التحليلى وأسلوب الدراسات المكتبية لفحص أسباب الصدور العام للخطب حول الأخلاق الاجتماعية للمجتمع الإسلامى في نهج‌البلاغة واستنادًا إلى تحليل نص الخطب وتاريخ وسيرة الإمام على (ع). تشير نتائج البحث إلى أن الإمام على (ع) قد أولى في خطبه اهتمامًا أكبر لأربع قضايا محورية. عودة الأخلاق والأفكار الجاهلية، بما في ذلك التحيزات العرقية والقبلية والمادية وإهمال الموت والآخرة من قبل الناس، وتناسى دور ومكانة أهل البيت في المجتمع الإسلامى والتعبير عن الأخلاق الاجتماعية المتبادلة للحكام و الشعب هى المحاور الأربعة الرئيسية في الخطب. كما أن الإمام على (ع) ألقى خطبًا خاصة بناء على احتياجات المجتمع والجو الأخلاقى والاجتماعى السائد، لتصحيح هذه المكونات وتعديلها وتوجيه الناس في كل من القضايا المذكورة أعلاه. يمكن اعتبار المجتمع الإحصائى لكل مكون من مكونات نهج‌البلاغة كمثال واضح لكلمات أمير المؤمنين (ع) علامة جيدة لمدى اهتمامه بها.

الكلمات الدليلية: سبب الصدور، نهج‌البلاغة، الأخلاق الاجتماعية.

Abstract

Abstract: The context of issuing hadiths (traditions) refers to the cultural, political and social conditions of the society at the time of narration, and considering that a significant part of the traditions of the infallible Imams are based upon the needs of individuals or society of their time, coming to terms with the reason for their statements has a huge role in understanding their discourse. In the meantime, sermons will be more important in this case because they are based upon the requirements of the time and the thoughts of theologians. This research uses a descriptive-analytical approach and a library collection method to examine the reasons for the general issuance of sermons on the social ethics of the Islamic society in Nahj-ul-Balagha and based on the analysis of the text of sermons and the history and manners of Imam Ali has examined the reason for issuing sermons. The findings of the research indicate that Imam Ali in his sermons paid more attention to four central issues. The revival of morals and thoughts of the Age of Ignorance (Jahiliyyah), including ethnic and tribal prejudices, worldliness and ignorance of death and the hereafter by the people, forgetting the role and position of the Ahl al-Bayt in Islamic society and expressing the social morality of rulers and people are the four main axes in sermons. Also, based upon the needs of the society and the prevailing moral and social atmosphere, Imam Ali, in order to rectify and modify these components and guide the people on each of the above-mentioned issues, included special speeches in his sermons. The statistical community of each of the components in Nahj-ul-Balagha as a clear example of the words of the Amir al-Mu'minin can be considered an apt sign for the extent of his tribute to them.

Keywords: Reason for Issuance, Nahj-ul-Balagha, Social Ethics.

المقدّمة

من أهم قضايا فقه الحديث، والتي لها دور بالغ الأهمية في فهم كلام المعصومين (ع)، سبب صدور الحديث. وسبب الصدور للأحاديث الشريفة كعلم سبب النزول، لآيات القرآن الكريم (الحنفي الدمشقي، ۱۹۱۱: ۳) ويشير إلى القضية أو الحدث الذي أدى إلى صدور حديث أو الحكم في وقته (السيوطي، ۱۹۸٤: ۱۱، أسعد، ۲۰۰۱: ۲٤). سابقًا، كان هذا العلم يقتصر على الواقعة التي وقعت قبل صدور الحديث أو السؤال المطروح، لكن شيئًا فشيئًا، فقد اتسع نطاق هذا العلم ودخلت الظروف التاريخية والفكرية والثقافية والاجتماعية للمجتمع والتي كانت سائدة في عهد المعصومين (ع)، والتي تعتبر سياقًا ثقافيًا واجتماعيًا لصدور الحديث من قبل المعصوم، إلى هذه المقولة وحظيت مصطلحات مثل سياق الصدور (مسعودى، ۲۰۰۵م، ص۱۲۷؛ داورى چلقائى، ۲۰۱۱، ص۱۲۱؛ رياحى مهر ومسترحمى، ۲۰۱۵م، ص۱۱۵) أو أسباب الصدور العامة (امانلو، ۲۰۱٤م، ص۸۸؛ اشرف آل طه، ۱۳۹۸، ص۵۵)، في مقابل سبب الصدور الخاص باهتمام الباحثين المعاصرين.

ومع ذلك، فإن العديد من الروايات (مثل العديد من الآيات التي لم يذكر لها سبب النزول) تبدو للوهلة الأولى أنها لا تقترن بسبب للصدور (الحنفي الدمشقي، ۱۹۱۱: ۳) ؛ لكن يجب أن نعلم أن الروايات صدرت في ظروف معينة، وفهمها الدقيق يعتمد على الاهتمام بفهم هذه الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية و ... لهذا الحديث (معارف، ۲۰۰٦: ٥٤). اضافة على أن العديد من الروايات الأخلاقية والفقهية والتاريخية ... صدرت في انسجام خاص مع الظروف والمواقف التي كانت موجودة في وقتها وسيؤدي إهمال تلك الظروف بالتأكيد إلى فهم غير مكتمل للحديث (معارف، ۲۰۰٦: ٥٤).

إن فهم حياة المعصومين وآدابهم، والظروف والمواقف التاريخية، والعلاقات السياسية والاجتماعية المختلفة، بما في ذلك العلاقات العرقية والقبلية، وفهم الحكام والسياسات التي تحكم النظم السياسية والثقافية، وما إذا كان المعصومون يعيشون في ظروف التقية أو كانوا مبسوطي الأيدي أو مقدار سلطتهم السياسية، سيؤدي إلى فهم أفضل لكلامهم (سليماني، ۲۰۰٤: ۷۰). ومن الطبيعي في هذه الأثناء أن تكون معرفة سياق إصدار الأحاديث والخطب التي تشير إلى الحالة الأخلاقية والاجتماعية والفكرية للمجتمع أكثر أهمية من الكلمات الأخرى مثل مسائل العقيدة.

يتمثل الغرض من هذه الدراسة في ذكر ورسم سياقات إلقاء الخطب المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية للمجتمع وقت إصدار نهج‌البلاغة، والتي يمكن الحصول عليها من خلال الفهم الصحيح للأجواء التى كانت السائدة في المجتمع والأخلاق والفكرية للعصر الذي كان يعيش فيه المعصومون. حاول أمير المؤمنين (ع) إصلاح أفكار مجتمعه وأخلاقه حسب الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك المجتمع وما يواجهه من تحديات، من خلال ذكر الأشياء والتأكيد عليها وترديدها في خطاباته. بمعنى آخر، يمكن القول إن الحالة الفكرية والجو الأخلاقي الذي يحكم المجتمع هو سبب صدور هذه الكلمات.

إن مراجعة خطب نهج‌البلاغة والمصادر التي ألفت حولها وكذلك المصادر التاريخية لصدر الإسلام تدل على أن كلام الإمام علي (ع) حول الأخلاق الاجتماعية في نهج‌البلاغة، والذي صدر بناءً على الحالة الفكرية والجو الأخلاقي الذي كان يحكم المجتمع في ذلك الوقت، يمكن تفسيره في أربعة مجالات رئيسية: عودة الأخلاق الجاهلية بين الناس وعودتهم إلى معتقدات الجاهلية، والاهتمام المفرط بالدنيا وإهمال الآخرة، وتناسي مكانة أهل البيت في المجتمع الإسلامي، وشرح المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الديني.

إشكالية البحث

يمكن اعتبار المجتمع الإسلامى في عهد الإمام على (ع)، حيث يكون الإمام المعصوم على رأس شؤونه السياسية والاجتماعية، كمجتمع نموذجي للمجتمعات الأخرى؛

لأن هذا المجتمع يقوم على وجهة نظر الإمام المعصوم وقد قام المعصوم بوصف هذا المجتمع في حالات كثيرة؛ ومن ناحية أخرى، فإن هذه الأوصاف والكلام والسلوك والقرارات وردود الأفعال من قبله (ع) في ذلك المجتمع، ليست فقط حجة دينية بل يمكن اعتبار تلك القرارات السياسية والأخلاقية والاجتماعية، هي القرارات المثالية في تلك الظروف.

وغني عن البيان أن الخطيب في خطبه يتحدث وفق مقتضيات الزمان والمكان (انظر: موسوي، ٢٠٠٢: ٢٠-٢٢) ويضبط موضوع ومحتوى خطابه بناءً على أفكار وأخلاقيات الجمهور؛ لهذا يمكن أن تعكس الخطبة أكثر من أي كلمات أخرى الوضع الفكري والأخلاقي والسياسي للمجتمع وهي أكثر أهمية في هذا الصدد. لكن الرسائل والحوارات الشخصية رغم افادتها العامة، سيكون لها مكانة مختلفة لأنها صدرت في جوّ خاص ولجمهور خاص.

وتجدر الإشارة إلى أن الجو الأخلاقي العام للمجتمع لا يشمل أخلاق أفراد ذلك المجتمع بالضرورة (سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي)، ولكنه يدرس الوضع الأخلاقي وهوية المجتمع كحقيقة واحدة ووعي جماعي. في هذا النوع من وجهات النظر الذي يتماشى أيضًا مع تعاليم القرآن الكريم بحسب كلام الشهيد مطهري، الإضافة إلى الهوية الفردية للإنسان، يُدرَس المجتمع أيضًا باعتباره واقعًا حيًا جديدًا. أي أنه بالإضافة إلى وعي وضمير وإرادة الأفراد، هناك وعي ورسالة وارادة للمجتمع أيضًا يمكن اخذه بعين الاعتبار، وعلى حد تعبير القرآن الكريم، "للأمة" بغنىً عن افرادها، مصير ووعي ورسالة العمل الخاصة بنفسها (مطهري، ٢٠٠٥، ج٢ صص ٣٣٦-٣٣٩، لمزيد من المعلومات انظر: هيئة تحرير مؤسسة نهج‌البلاغة، ١٩٩٤: ١٢٨).

من الواضح أن المكونات الأخلاقية للمجتمع تتشكل خلال عملية زمنية محددة وأن الأخلاق الاجتماعية للمجتمع في عهد الإمام علي (ع) قد تأثرت بالمكانة الأخلاقية وسياسات الحكام قبل حكمه.

تسعى هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

١. خطب نهج‌البلاغة في الأخلاق الاجتماعية، لماذا وفي أي أجواء صدرت؟

٢. ما هي المواضيع التي تتناولها خطب نهج‌البلاغة في الأخلاق الاجتماعية؟

٣. كم عدد الخطب التي وردت في نهج‌البلاغة في كل من الموضوعات المذكورة؟

فقد يفترض أن هذه الخطب قد صدرت على أساس الحاجات الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع آنذاك، وأهم ما ذكر فيها قضايا مثل تحذير الناس من الدنيوية والدعوة إلى الزهد وترك الثقافة والأخلاق الجاهلية، وعودة أهل البيت إلى الحضور الفاعل في المجتمع الإسلامي.

خلفية البحث

أما بالنسبة لسبب صدور الخطب في نهج‌البلاغة، فهناك دراسات عديدة من أبرزها أطروحة مسعود أمانلو. في أطروحته بعنوان "سبب الصدور ودوره في فهم النصوص، خطب نهج‌البلاغة مثالًا"، الأستاذ المشرف مهدي إيزدي والأستاذ المستشار عباس تقويان، عام ٢٠١٣م، جامعة الإمام الصادق (ع)، يتحدث المؤلف حول أسباب صدور خطب نهج‌البلاغة في ثلاثة محاور (سياسية، اخلاقية، عقائدية). نشر المؤلف نفسه مع ولي الله مهدي فر مقالًا في مجلة بحوث نهج‌البلاغة (٢٠١٤م) بعنوان "أسباب صدور خطب نهج‌البلاغة بناءً على تحليل الظروف الأيديولوجية لفترة خلافة الإمام علي (ع)" وفي عام ٢٠١٥ مع مهدي إيزدي في مقال بعنوان "دراسة سبب الصدور كأسلوب لنقد ودراسة مختلف شروح نهج‌البلاغة"، تم فحص دور سبب الصدور في نقد ودراسة التفاسير المختلفة لنهج‌البلاغة وقد تم نشر هذا البحث في مجلة دراسات القرآن والحديث (٢٠١٥).

ثَم أعمال أخرى في مجال سياقات الصدور أو أسباب الصدور العامة لخطب نهج‌البلاغة، أهمها مايلي: أثبت محمد حسن نادم في كتاب "الأصول الثقافية لنهج‌البلاغة" صحة إسناد نهج‌البلاغة إلى الإمام علي (ع) من خلال رسم الجو الفكري والثقافي للمجتمع والإشارة إلى المشاكل التي واجهها الإمام في حياته. تم نشر هذا العمل في عام ٢٠٠٥ من قبل مطبوعات أديان قم. في مقال بعنوان "الأجواء الاجتماعية والثقافية لخطب

نهج‌البلاغة"، قام أحد داوري چلقائي بدراسة إحدى فوائد سياقات الصدور، وهي حل التعارضات البدائية، وحاول النظر في هذه التعارضات وحلها وفقًا للسياق الثقافي وأجواء الاجتماعية في عهد الامام علي (ع). نُشر هذا المقال في ربيع عام ٢٠١٠ في المجلة الفصلية للدراسات التفسيرية. في المجلة الفصلية لنهج‌البلاغة (خريف ٢٠١٥) ناقش باقر رياحي مهر وسيد عيسى مسترحمي في مقال بعنوان "دور سياق الصدور في فهم نهج‌البلاغة" أهمية وضرورة فهم سبب الصدور في تفسير نهج‌البلاغة.

إلا أنه لم يتم العثور على أي أعمال حول موضوع هذا البحث، أي سياق إلقاء خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج‌البلاغة، وهذا البحث مبتكر من ناحيتين اثنتين: أولًا، تمت دراسة سياقات صدور خطب الأخلاق الاجتماعية بشكل متخصص، وثانيًا، تم استخلاص سياق الصدور بناءً على تحليل كلام أمير المؤمنين (ع) في الخطب.

سياقات الصدور العامة لخطب الامام علي (ع) حول الأخلاق الاجتماعية

كان فن الخطابة في بدايات الإسلام الوسيلة الإعلامية الأكثر فاعلية وأهمية لإعلان وإصلاح وتثقيف المجتمع وأهله، وقد استخدم الإمام علي (ع) هذا الأسلوب، الذي تطور تطورًا وسيعًا بعد بعثة النبي الاكرم (ص)، في دعوة الناس وتوجيههم لدين الإسلام الحنيف (شوقي ضيف، د.ت، ج٢: ١٠٦). وبحسب رأي بعض العلماء، بلغ هذا الفن أعلى مستوى من الاهتمام والتقدم في تاريخه في عهد أمير المؤمنين (ع) نظرًا لشخصيته ولعدة أسباب أخرى (موسوي، ٢٠٠٢: ١٥).

من الواضح أن جزءًا من محتوى نهج‌البلاغة هو انعكاس لتعاليم الإمام علي (ع) عن المجتمع الإسلامي ووصف الظروف الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمجتمع أثناء حكمه، فماذا قال الإمام علي (ع) عن الناس والمجتمع في عصره وكيف وصف ذلك المجتمع؟ كيف قيّم أعراف المجتمع وشذوذاته أنذاك حسب المعايير الإسلامية؟ وأخيرًا، كيف تصرّف لتصحيح هذه العيوب خلال فترة حكمه؟ إن من أهم وأفضل الطرق للتعرف على المجتمع زمن صدور كلام أمير المؤمنين (ع) هي مراجعة أقواله وتحليل كلماته في خطب نهج‌البلاغة. ولأن أمير المؤمنين (ع) كان حاضرًا في تلك الفترة التاريخية من الزمن وبغض النظر عن دوره المحوري فيها، قام واهتم بهداية مجتمعه بنظرة عميقة، وفكر قوي، وحكمة بالغة في التعرف على القوانين والتقاليد التي تحكم التاريخ، فرسم لوح البصيرة والحكمة أمام الأنظار والعقول (دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦).

ومن الواضح أن عدد هذه الخطب وإحصائياتها في نهج‌البلاغة، كمؤشر هام على تأكيد الإمام علي (ع) على هذه القضايا وانتشار وتأثير هذه الشذوذات في المجتمع في ذلك الوقت. لذلك فقد قمنا في هذا البحث، واستمرارًا لذكر أسباب إلقاء الخطب العامة، بذكر عدد الخطب والإحصاءات المتعلقة بها في الموضوع.

فحص تاريخ صدر الإسلام بشكل عام وخطب نهج‌البلاغة وأسباب صدورها بشكل خاص، يدل على أن المكونات الأربعة المذكورة آنفا والمتمثلة في الأخلاق الاجتماعية قد تم التأكيد عليها في خطب نهج‌البلاغة. بعبارة أخرى، في الخطب المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية للإمام علي (ع)، هناك أربعة محاور انبثقت من الوضع السياسي والثقافي والأخلاقي للمجتمع الإسلامي في ذلك الوقت وتعتبر هذه الحالات نوعًا ما سببًا لصدور خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج‌البلاغة.

١. عودة أخلاق الجاهلية إلى المجتمع الإسلامي

الجاهلية من القضايا المهمة التي أثيرت لأول مرة في القرآن الكريم، حيث سمي العصر الجاهلي بهذا الاسم بسبب عاداته وتقاليده وثقافته الخاطئة (الأحزاب / ٣٣). ولكن الدقة في استخدام هذه الكلمة في القرآن الكريم (آل عمران / ١٥٤ ؛ المائدة / ٥٠ ؛ الأحزاب / ٣٣ ؛ الفتح / ٢٦) وأيضًا في روايات الأئمة الأطهار (ع) (على سبيل المثال، انظر: الكليني، ١٩٨٧، ج ٥: ٣٤٤ و ٣٤٠ ؛ ج ٣: ٣٩٥) توضح أن النصوص الدينية قد نظرت في المعتقدات والثقافة والأخلاق والعادات غير الصحيحة لهذه الفترة، قبل الإشارة إلى

تلك الفترة الزمنية المحددة. كتب أحد المفسرين المعاصرين عن هذا الأمر: الجاهلية ليست فترة زمنية محددة، ولكنها تشير إلى الظروف التي قد تحدث في المجتمعات المختلفة (سيد قطب، ٢٠٠٤، ج٢: ٨٩١، تفسير الآية ٥٠ من سورة المائدة).

وقد ذكر أمير المؤمنين (ع) كرارًا ومرارًا خصائص الثقافة الجاهلية وحذر الناس من العودة إليها. ولطالما شدد عليه السلام على أن العرب لا ينبغي أن ينسوا كيف عاشوا و من أين انتشلتهم رسالةُ الرسول الكريم (ص) وجهودُه وإلى أين أوصلتهم. لذلك أكد في كثير من خطبه على دور النبي الأعظم (ص) وأحيانًا أهل بيته (ع) في إنقاذ العرب من الجاهلية. و وفقًا لكلام أحد العلماء المعاصرين إن خصائص الجاهلية خلال فترة حكمه عليه السلام بأكملها، كانت ذات دور مضاد لخطة واستراتيجية الإمام علي (ع) (دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦).

ويبدو أن صدور هذه الكلمات من قبله يرجع إلى هذه الحقيقة أن بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) تغيرت العديد من القيم الدينية في ذلك المجتمع وعادت جماعة من الناس إلى ماضيها الجاهلي وأحيت الأخلاق والثقافة الجاهلية. وقد بيّن الإمام علي (ع) هذه المسألة بصراحة في خطبتين من نهج‌البلاغة. قال في الخطبة ١٥٠: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ» وفي الخطبة ١٩٢ يقول لهم مقارنًا بين أخلاق الناس في عهده والجاهلية: «واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَابا»[١].

الخطب ذات الصلة بأخلاق الجاهلية

بالإضافة إلى الخطبتين السابقتين، أشار الإمام علي (ع) في بعض خطبه الأخرى إلى تغيير المعايير الأخلاقية والعقائدية في المجتمع، واعتبرها بعيدة عن القيم الدينية والإسلامية ومنطبقة على القيم والأخلاق الجاهلية.

وقد استخدم عليه السلام كلمة (أصبح)، في ثلاث خطب أخرى، والتي تدل على التغيير والصيرورة، للتعبير عن تغيير معايير وأخلاق وأهداف المجتمع الإسلامي في عصره مقارنة بالمجتمع الإسلامي في زمن الرسول الكريم (ص). وقد ذكر بعض المكوّنات الأخلاقية، واعتبرها بعيدة عن المعايير الدينية (الخطب ٣٢، ٤١، ١٢٩). في الخطبة ٢٣٣، ومن وجهة نظر أخرى، ذكر ثماني حالات من العلامات والمكونات الأخلاقية للمجتمع في عصره، وكلها من رذائل الأخلاق الاجتماعية. في الخطبة ١٦٦، يعدد علامات الجاهلية الأخلاقية للناس ويحذرهم من العودة للجاهلية قائلًا: «وَ لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ» (الخطبة ١٦٦). من الواضح أن هذا الوضع نشأ من وجهة النظر غير الدينية والجاهلية للناس وبُعدهم عن المعايير الدينية.

التعصب العرقي والقبلي

من أهم وأبرز أخلاق الجاهلية التي عرفت الجاهلية بها، هي التحيزات العرقية والقبلية الشديدة والعمياء تجاه الأسلاف والأقارب، والطاعة العمياء لكبار القبائل. ولهذه الرذيلة الاخلاقية تاريخٌ طويل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وقد أثرت تأثيرًا بالغًا على أخلاقهم وأفكارهم ومعتقداتهم. وقد أزيلت هذه الأخلاق في عهد النبي الاكرم (ص) بتوجيهاته وسياساته واستبدلت بالمودة والأخوة (الخطبة ٥٦)؛ ولكن بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وبسبب سياسات الخاطئة للحكام، أعيد إحياؤها مرة ثانية وظهر أثرها في العديد من القضايا، ولعل هذه التحيزات هي التي دفعت بالبعض لمعارضة خلافة الإمام علي (ع) وإزاحته عن السلطة لمدة ٢٥ عامًا، رغم أوامر النبي (ص) في ذلك.

الخطبة رقم ١٩٢ هي أطول خطبة في نهج‌البلاغة، حيث ذكر المفسرون أن سبب صدور هذه الخطبة هو محاربة التحيزات العرقية والقبلية لأهل الكوفة (خوئي، ١٩٨٠، ج١١: ٢٦٧). يذكر الإمام علي (ع) في هذه الخطبة أن الشيطان (إبليس) كان أول من عصى الأمر الإلهي بسبب الأنانية والتعصب ولم يسجد لآدم. في هذه الخطبة، يعتبر عليه السلام أن السبب الرئيسي للتحيز هو إما خداع الجاهلين أو التأثير على عقول الحمقى وقد

---

١. وفي الرسالة ٦٢ التي أرسلها إلى مالك الأشتر قال: «حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّد» (الرسالة ٦٢).

ذكر طريقة التخلص منه (الخطبة ١٩٢).

يذكر الإمام علي (ع) في خطب أخرى أن قريش هي التي قطعت قرابته واغتصبت حقه (خطبة ١٧٢ وانظر أيضًا: خطبة ٢١٧) ؛ وكان هذا السلوك بسبب التعصبات العرقية لهم. كما يدل البحث على أن كلمة "قريش" في نهج‌البلاغة قد استخدمت تسع مرات (٩ خطب) في خطب نهج‌البلاغة، منها (٦ خطب) حول موضوع التحيز العرقي، وتأثيره على أخلاق وقرارات أهل زمانه وكبار العرب (انظر: الخطب ٢٧، ٣٣، ٦٧، ٩٣، ١٧٢، ٢١٧)[١].

المجتمع الإحصائي للخطب المتعلقة بالجاهلية

بناءً على ما قد ذُكِر، يمكن اعتبار سبب صدور الخطب التالية هو عودة أهل المجتمع إلى ثقافة الجاهلية وإحياء بعض الأخلاق الجاهلية لدى بعض الناس بعد وفاة الرسول الكريم (ص):

١. خطب وصف فيها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الكريم (ص) بالعودة إلى الجاهلية.
٢. الخطب التي ذكر فيها بعض العادات الجاهلية وثقافتها وبيّن دور الرسول الكريم (ص) وجهوده لإنقاذ البشرية، وخاصة العرب قبل الإسلام.
٣. الخطب التي يتم فيها ذكر مكونات أخلاقيات الجاهلية على وجه التحديد وشرحها وتطبيقها على الثقافة الأخلاقية للمجتمع في ذلك الوقت.
٤. خطب اشتكى فيها من التحيزات العرقية والقبلية ودعا الناس إلى نبذها والتجنب منها.

في البحث عن هذا الموضوع، توجد كلمات مفتاحية مثل: «اَرسَلَهُ» (١٢ خطبة: ٢، ٨٣، ٨٩، ٩٤، ١٠٠، ١١٦، ١٣٣، ١٥٨، ١٦١، ١٨٥، ١٩٥، ٢١٣)[٢] و «بَعَثَهُ» (الخطب ٩٥، ١٧٥، ١٩٦) وكذلك "ابتَعَثَهُ" (الخطبتان ١٦١ و ١٩١) هي كلمات مناسبة لاسترجاع الخطب المتعلقة بذكر صفات الرسول الاعظم (ص). وكذلك كلمات مثل "الجاهلية" (في الخطب ٩٥ و ١٦٦ و ١٩٢) و "قريش" التي ذكرنا إحصائياتها سابقًا.

وبحسب الإحصائيات السابقة، قد تحدث الإمام علي (ع) في سبع عشرة خطبة (١٧ خطبة) عن الوضع الثقافي والأخلاقي والديني في فترة ما قبل الإسلام، وبُعد الناس عن تعاليم الأنبياء، وعدم وجود علامات السعادة والفتنة والاضطراب ووصف الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٠٤، ١٣٣، ١٥١، ١٥٨، ١٦٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨) وفي المجموع هناك تسع وثلاثون خطبة مختلفة (٣٩ خطبة) يوضح فيها عليه السلام صفات الرسول الأكرم (ص) ودوره في إرشاد الناس وإنقاذ البشرية من أخلاق وثقافة ومعتقدات الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٧٢، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١١٦، ١٣٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٨، ١٦١، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣١) (نك: دلشاد تهراني، ٢٠١٣: ٧٦-٧٧ ؛ دين برور، ٢٠١٥: ٤٧-٥١). وقد ضمت بعض من هذه الخطب كلا الموضوعين، الأخلاق الجاهلية وثقافتها، ودور الرسول الأكرم (ص) كمنقذ للناس من مستنقع الجاهلية (انظر: الخطب ١، ٢، ٢٦، ٣٣، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٥٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨).

إجمالًا، بعد حذف الخطب المكررة، صدرت ٥٢ خطبة بهذا السبب.

٢. الدنيوية وإهمال بالآخرة

الزهد أو التحرر من الملذات الدنيوية هو من القضايا الأساسية للفكر الديني ومن أهم عوامل النمو النفساني والرقي الروحي للإنسان، حيث أنه مرتبط بصفات وأخلاق عديدة. في روايات الأئمة الأطهار، تم اعتبار ترجيح الدنيا على الآخرة كأصل للعديد من الرذائل الأخلاقية، وفي المقابل التحرر من الانتماءات الدنيوية، تؤدي الى تحصيل الفضائل الأخلاقية والتعالي والنمو

---

١. حالات أخرى استخدم فيها اسم قريش: الخطب ١٤٤، ١٩٢، ٢١٩، ولم يقصد قريش والتعصبات فيها، وقد ذكرت مرتين في العنوان وليس في النص.

٢. وردت هذه الكلمة في خطبة ٩١، لكنها لا تعني النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

الروحي للإنسان (انظر: ورام، ١٩٩٠، ج١: ١٣١-١٣٢). ومع ذلك، يبدو أن الظروف الاجتماعية الخاصة والجو الفكري والأخلاقي الخاص الذي ساد المجتمع في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، دفعه إلى إيلاء هذه القضية اهتمامًا خاصًا والتأكيد عليها أكثر من قضايا أخرى في خطبه.

وفقًا للتاريخ، تدفق ثروة هائلة في ذاك المجتمع وتخصيصها لفئات معينة من المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية، سبب بحدوث فجوة اقتصادية حادة في المجتمع الإسلامى. وغيّر مسير حياة بعض الصحابة وجعلهم دنيويين لدرجة أنهم رجّحوا الدنيا على الآخرة ونسوا القيم الدينية.

في عهد الخليفة الثاني، تم توزيع غنائم الخُمس والجزية والضرائب الضخمة التي كانت تدفع للحكومة بعد الفتوحات الإسلامية (نصيب بيت المال) حسب السابقة في الإسلام والمشاركة في غزوات الرسول الأكرم (ص) و القبائل (الطبري، ١٩٦٧، ج ٣: ٦١٤). في زمن عثمان، استمر أسلوب تقسيم بيت المال على نفس الحال، واضيف إلى ذلك الإنفاق الشخصي وغير المحسوب، أدّى إلى ازدياد هذه الفجوة الاقتصادية أكثر فأكثر (للحصول على معلومات حول التوزيع غير المسبوق للمال من قبل الخليفة الثالث، انظر: أميني، ١٩٩٥، ج٨، ص٣٩٠-٣٩٨ ؛ وكذلك مكارم شيرازي وآخرون، ج، شرح الخطبة الشقشقية). يتحدث المسعودي (د٣٦٤ هـ) في مروج الذهب عن صفات الخليفة الثالث والمنازل والبساتين وأموال الخليفة الثالث وأصحابه مثل الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت ويعتبر ذلك نهاية الجود والكرم والبذل للخليفة الثالث (المسعودي، ١٩٨٩، ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٣). يستشهد البلاذري أيضًا بأن الخليفة الثالث اعتبر هذا حقًا له واعتبره نوعًا من المعاملة المشروعة لأقاربه ولم يسمح باستجواب أي شخص حول هذا الموضوع (البلاذري، ١٩٩٦، ج. ٦، ص. ١٤٦).

التمييز في تقسيم بيت المال والسياسات الاقتصادية الخاطئة وإحياء الاختلافات العرقية ونسيان القضايا الأخلاقية والتعليمية، خَلَق العديد من المشاكل الأخلاقية في المجتمع؛ وبهذه الطريقة تحول حتى بعض النخب والصحابة إلى الدنيوية وتكديس الثروة وصاروا دنيويين حتى نسوا قيمهم الدينية ووضعوا دنياهم قبل آخرتهم وأصبحوا أعداء الحق بسبب مصالحهم المادية (انظر: الخطبة ٣).

انتقد الإمام علي (ع) في خطاباته بشدة هذه السياسة المالية والإنفاق الذي لا حصر له من قبل الخليفة الثالث وشبّه هجوم بني أمية في خلافة الخليفة الثالث لسرقة بيت المال بجمل جائع هجم على نبتة ربيعية (الحكمة ٣). ولكن الامام علي(ع) في بداية حكمه، ضمن ما عبر عن أسلوبه الاقتصادي، صرّح بأنه لن يقبل أي تقصير في شؤون بيت المال، وأمر بإعادة جميع أراضي المسلمين التي عهد بها عثمان بن عفان إلى غيره إلى بيت المال أو أصحابها (خطبة ١٥).

والإضافة إلى تلك الإجراءات التنفيذية، قام بتثقيف المجتمع و سعى في اصلاح وضعه الأخلاقي من خلال توعية الناس وتحذيرهم بدئانة الدنيا واهمية الآخرة. والواقع أن صرخات علي (ع) الموجهة إلى الأمة الإسلامية هي نتيجة الشعور بالخطر الاجتماعي الكبير الذي أفسد أخلاق الأمة الإسلامية (مطهري، ٢٠٠٠، ص٢٥٧). من ناحية أخرى، فإن هذا الوضع الأخلاقي والاجتماعي للمجتمع هو سبب العديد من الخطب، والتي سنقدم إحصائياتها في السطور التالية.

تواتر موضوع الزهد في خطب نهج‌البلاغة

بسبب هذه الحاجة والضرورة الاخلاقية والاجتماعية المذكورة، حاول الإمام علي (ع) بطرق مختلفة وبالتكرار والتأكيد، أن يدعو قومه وجمهوره للتخلص من المتعلقات الدنيوية والعبرة من الموت وعدم إهمال الآخرة. أحيانًا كان يتحدث عن الطبيعة المؤقتة للدنيا (الخطبة ١٧٣)، وأحيانًا كان يذكر الناس بعدم استقرارها (الخطبة ٤٥)، كما كان يذكر مكانة وخصائص الحياة الدنيوية (الخطبة ٢٨) مصائبها المتزايدة وأفراحها المحدودة (الخطبة ١١٣) وغيرها. لكن يبدو أن أجمل أنواع الدعوات وأكثرها فاعلية هو الالتزام القوي للمتحدث بكلماته التي تحدث فيها مرات عديدة عن التزامه وقد كان يفتخر به. تكمن أهمية هذه

الكلمات في أن الشخص يجب أن يؤمن ويلتزم بكلامه قبل دعوة الآخرين إلى شيء ما. قال في إحدى الخطب: «وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» (خطبة ٣)، ويقول في مكان آخر: «وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا» (الخطبة ٢٢٤).

تعتبر قضية الزهد في الدنيا وما يتصل بها من ذكر الموت ويوم القيامة من القضايا المهمة والمتكررة في نهج‌البلاغة وتدل على أن المجتمع في أمسّ الحاجة إليه وله أهمية كبيرة عند الامام علي (ع). تشير الإحصائيات إلى أنه في حوالي ٢٠٪ من الخطب تم ذكر قضايا الزهد وتجنب الدنيوية (الخطب ٣-٢٨-٣٢-٣٣-٤٢-٤٥-٥٢ -٦٣- ٦٤- ٨١- ٨٢ -٨٣ -٨٦- ٨٩-٩٩ - ١٠٣-١٠٩-١١١- ١١٣- ١١٤-١٢٨ - ١٢٩- ١٣٢-١٣٣- ١٥٧ -١٦٠- ١٦١ - ١٧٤-١٧٨- ١٨٢-١٩٠-١٩١-١٩٦-٢٠٣-٢٢٢-٢٢٤) ؛ كما تظهر القضايا المتعلقة بذكر الموت في حوالي ١٤٪ من الخطب (الخطب ١-٢٠-٢١-٢٨-٥٢-٦٤-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٩٠-٩١-٩٩-١٠٣-١١٣-١١٤ - ١٣٢-١٣٢-١٤٥-١٤٧-١٤٩-١٥٧-١٦١- ١٦٨-١٨٧-١٩٠-١٩٦-٢٠٤-٢٢٦-٢٣٠) (حاجي خاني وآخرون ؛ ٢٠١٦: ٨٤ و ٨٥).

وبحسب بحث المؤلف في نهج‌البلاغة، فقد استخدمت كلمة (دنيا) ١٢١ مرة في نصوص خطب مختلفة، منها ١٠٦ مرات كلمة "الدنيا"، و ٥ مرات كلمة "بالدنيا"، و ٦ مرات كلمة "دنياك"، ومرة واحدة "دنياها" ومرتان "دنياهم" ومرة واحدة "دنيا" ؛ كما لوحظت كلمة "الآخرة" في نص الخطب ٤٠ مرة، واستخدمت كلمة "الموت" ٤٣ مرة في خطب مختلفة، منها ٣٧ مرة "الموت" و ٦ مرات "بالموت" ؛ وجاءت كلمة "القيامة" ١٨ مرة في نص الخطب.

إجمالًا، بما في ذلك التكرار في الإحصائيات أعلاه، فإن القضايا المتعلقة بالزهد في الدنيا والاهتمام بالموت مذكورة في ٥٢ خطبة من نهج‌البلاغة.

شبهة الكيلاني حول الزهد في نهج‌البلاغة

من الشبهات التي طرحت حول نهج‌البلاغة في السنوات الأخيرة شبهة كثرة الدعوة للزهد في هذا الكتاب. أثيرت هذه الشبهة لأول مرة من قبل محمد سيد كيلاني (د ١٩٩٨م)، وتقوم على هذا الادعاء بأن الأقوال التي تدور حول الرهبانية وترك الملذات والبركات الدنيوية، مما يتعارض مع روح الإسلام ويتناقض مع قواعد ومبادئ الدين الحنيف وضار بالمجتمع والحضارة الإسلامية وقد أدلى بها الصوفيون والرهبان تاركو الدنيا (سيد كيلاني، د.ت: ٦٠-٦١)، كما قيل أن هذه المسألة نادرًا ما نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله.

قد تمت كتابة العديد من البحوث والمؤلفات وقدم الباحثون إجابات مختلفة ردًا على هذه الشبهة (انظر: أسدي، ٢٠٠٧ ؛ حاجي خاني، ٢٠١٢ م) كما أن قضايا مثل الزهد وترك ملذات الدنيا وذكر الموت لا تتعارض مع روح الإسلام، وهناك العديد من الآيات والروايات حول هذا الموضوع. ومع ذلك، فإن الاهتمام بسياق إلقاء هذه الخطب يظهر بوضوح أن هذه الكلمات صدرت في موقف تغلغلت فيه الدنيوية والاختلاس في المجتمع الإسلامي بشكل عانى فيه حتى النخب والأصحاب المقربون من هذا المرض الأخلاقي، فكان من الضروري أن يقوم الحاكم الإسلامي ضد هذا الانحراف الكبير في المجتمع الإسلامي ويحذّر الناس منه بشتى الطرق ويحاول إصلاحه بالدعوة الشفهية والعملية (حاجي خاني وآخرون، ٢٠١٦: ٨٩) وإحياء هذا المبدأ من المبادئ الأخلاقية والفكرية للدين.

٣. نسيان مكانة أهل البيت (ع) في منظومة الفكر الإسلامي

ومن المحاور الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية الأخرى لنهج‌البلاغة، والتي تم تناولها في العديد من الخطب، التعبير عن فضائل ومكانة أهل بيت النبي (ص) من حيث المعتقد الديني وبيان دورهم في المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى ذكر المكانة العالية لعقيدة المسلمين حول أهل البيت (عليهم السلام)، فقد تم ذكر واجبات ومحظورات المجتمع الإسلامي تجاههم. ولهذا النوع من الخطاب أيضا سبب صدور عام، نظرا للأجواء السائدة في ذلك المجتمع والاحتياجات الملحة للشعب وجمهور

المسلمين، فقد أدرج الإمام علي (ع) هذا الأمر المهم في خطبه نظرًا للحاجة الاجتماعية والدينية للمجتمع.

إن أهل بيت النبي (ص) وخاصة الإمام علي (ع)، حسب الأحاديث النبوية الكثيرة والمتكررة، هم مفسرو القرآن ومنفذو أحكامه والسنة النبوية الشريفة، وقد تم عزلهم وإبعادهم عن السلطة والمجتمع بعد وفاة الرسول الكريم (ص) بالقوة وأصبحت أنشطتهم الدينية والاجتماعية والسياسية المختلفة محدودة للغاية. وقد ثبتت هذه المسألة كحقيقة تاريخية في العديد من الأبحاث[١]. يقول الإمام علي (ع) في خطاب شرح فيه الوضع السياسي والاجتماعي للمجتمع في عصره: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا» (رسالة ٥٣).

الإشارة إلى مكانة أهل البيت في خطب نهج‌البلاغة

بعد وفاة الرسول الكريم (ص)، فقدَ أهل البيت النبي عليهم السلام المكانة الاجتماعية والسياسية التي رسمها لهم الرسول الكريم، وأصبح المجتمع والناس في عهد الإمام علي (ع) وحتى العديد من أصحابه وأنصاره، بالرغم من تأكيد النبي الكريم وأمره، مهملين وغير مدركين لفضائل أهل البيت (ع) ودورهم ومكانتهم الحقيقية في المجتمع؛ لذلك، كان من الحاجات العقائدية والأخلاقية الأساسية والملحة للمجتمع توعية الناس وشرح المنزلة العلمية والدينية والاجتماعية لأهل البيت (ع) وتهيئة الظروف المناسبة لوجودهم وممارسة دورهم في مجتمع الإسلامي، حتى يتم إنقاذ المجتمع وإعادة بناء الحضارة الإسلامية الأصلية. وعليه فقد صدر عدد من خطب الإمام علي (ع) لهذا السبب.

بعد ذكر صفات الأنبياء والرسول الاكرم (ص) والاشارة الى أنه أفضل رسل الله، يذكر أمير المؤمنين في بعض خطبه فضائل أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم للتعبير عن هذه الحقيقة بأنهم أفضل بيت على الاطلاق، فهم يتمتعون بصفات الأنبياء ولهم نفس المكانة، لأنهم ثمرة نفس الشجرة (الخطبة ٩٤). في خطب أخرى، وصفهم بأنهم شجرة النبوة، ومنزل الرسالة، والمكان الذي تأتي إليه الملائكة ومناجم المعرفة ومصدر الحكمة (الخطبة ١٠٩). في هذا الصدد، بعد ذكر صفات الرسول الكريم (ص) في خطب أخرى، والإشارة إلى مكانة أهل البيت (ع)، عرّفهم على أنهم محال أسرار العلوم النبوية التي لا توصف وهم حماة الدين (خطبة ٢).

وفي خطبة اخرى، أشار إلى صفات وخصائص أهل البيت (عليهم السلام)، وشرح مكانتهم في منظومة الفكر الإسلامي ودورهم وحقوقهم في المجتمع الإسلامي. بالإضافة إلى كونهم أهل البيت النبي الكريم (ص) وأقرب الناس إلى الرسول الأعظم (ص) ؛ فهم يتميزون بصفات مكانة خاصة عند الله تعالى وأنهم معيار طريق الحق «نَحْنُ الشِّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا» (خطبة١٥٤).

لذلك، في جزء آخر من خطبه، أكد على تفردهم وعدم الاستغناء عنهم وقدمهم على أنهم أعلى من جميع البشر وقد اختارهم الله تعالى؛ لذلك فإن مقارنتهم بالآخرين أمر خاطئ (الخطبتان ٢ و ٩٤). وفي خطبة أخرى، ذكر صراحة أن أي شخص ادّعى بمثل هذا الادعاء غيرهم فهو كاذب وظالم (خطبة ١٤٤).

وذكَّر أمير المؤمنين مرارًا وتكرارًا في خطبه أن السبيل الوحيد لإسعاد البشرية وهداية الإنسان هو اتباع أهل بيت النبي، وأشار إلى هذه المسألة بشتى الطرق. وشبههم أحيانًا بنجوم الأرض، النجوم التي تهتدي البشرية بها (الخطبة ١٠٠)، وأحيانًا أكد أن هداية البشرية وتقدمها ممكن فقط باتباع أهل البيت (ع) واتباع الآخرين أمر خاطئ (خطبة ٤، وخطبة ١٥٢). وفي خطبة أخرى دعا الناس إلى طاعة أهل البيت، وهي طاعة لا مخالفة فيها حتى لا يتقدم الناس عليها ولا يتخلفوا عنها (خطبة ٩٧). وأشار في خطبة أخرى إلى أن في اتباعهم لا يوجد الضلال أبدًا، لأنهم يتحدثون بلسان الحق (خطبة ٨٧)، وفي أمان من الفتنة (خطبة ٩٣).

لذلك فإن عدم إتباع أهل البيت خروج عن الدين وعودة إلى الجهل. جاء في الخطبة ١٥٠ بعد ذكر صفات

١. للحصول على تفاصيل أكثر حول هذه القضية، يمكن مراجعة: الامامه والسياسة لابن قتيبه الدينورى؛ تاريخ الخلفاء لرسول جعفريان؛ دور الأئمة في إحياء الدين لمرتضى عسكرى؛ التاريخ العمومى الحديث لمجيد معارف وغيرها

الذين عادوا إلى الجاهلية بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله واتخذوا الطريق الخطأ: «وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ...» (خطبه۱۵۰). وقد اعتبر مفسرو نهج‌البلاغة أن معنى "الرحم" و "السبب" في هذه الخطبة هو أهل البيت (ابن أبي الحديد، ۱۹۱۹، ج۹: ۱۳٤ ؛ شوشتري، ص. ۱۹۹۷، ج۳: ۵۲۲) وأن المعارضين عادوا إلى الجاهلية وضلوا بالتخلي عن الاوامر الإلهية ونقض إرادة الرسول الكريم (ص).

إحصائيات الخطب ذات الصلة بأهل البيت في خطب نهج‌البلاغة

بحسب بحث المؤلف وكتاب تصنيف نهج‌البلاغة (بيضون، ۱۹۹۷: ۳۳۷)، إن موضوع ذكر فضائل ومكانة ودور أهل بيت النبي الكريم (ص) مذكور في ۲۳ خطبة من نهج‌البلاغة (انظر: الخطب ۲، ٤، ۸۷، ۹۳، ۹٤، ۹۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۰۰، ۱۲۰، ۱٤٤، ۱٤۷، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۵٤، ۱٦۱، ۱۸۹، ۱۹۰، ۲۰۱، ۲۰۷، ۲۳۳، ۲۳۹) ويمكن أن يكون هذا هو سبب صدورها، أي شرح دور أهل البيت في المجتمع الإسلامي بعد ما نسي واهمل الناس مكانتهم.

۱. شرح المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الإسلامي

من أهم القضايا المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية، الأخلاق السياسية المتبادلة بين الناس والحكام. ما هي حقوق الشعب وواجباته تجاه الحاكم؟ وبالمقابل ما هي حقوق وواجبات الحاكم تجاه الشعب؟ قبل بعثة الرسول الكريم (ص)، كانت قوانين المجتمع عادة ما تصاغ وتنفّذ من قِبَل الطبقة الحاكمة ولصالحها، وحتى في المجتمعات ذات الحضارة والقانون، لم تمنح حقوقًا خاصة للفرد، ولكن كان القانون واتباعه أمرًا موضوعيًا. لكن في الدين الإسلامي، المعايير الأخلاقية سائدة في كل مكان وعلى جميع الأفراد، بمن فيهم الحكام والمواطنون أيضا. فيجب أن يخضع سلوك السياسيين للتقييم الأخلاقي كالسلوكيات الإنسانية الاختيارية الأخرى.

من ناحية أخرى، عاش الإمام علي (ع) في مجتمع وظروف كانت تُقبل فيها الحيلة والخداع في الحكومة، وكانت تعتبره ذكاءً وخبرة وحظيت باستحسان الرأي العام. يكتب ابن أبي الحديد: كان الناس في عهد الإمام علي (ع) يصفون أصحاب الدهاء والمخادعين مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة بالذكاء والحصافة (ابن أبي الحديد، ۱۹۱۹، ج۲: ۳۱۲) ومن ناحية أخرى، لم يكن هناك شرحٌ للمبادئ والسياسات والحقوق والواجبات والمعايير الأخلاقية السياسية من منظور الإسلام وكان لابد من وصفها بشكل كامل ودقيق من قبل أحد الأئمة (ع).

لذلك فإن سبب صدور هذا الجزء من الخطب هو تحديد موقف ورؤية دين الإسلام تجاه الحقوق والواجبات والسلوكيات المتبادلة بين الحكام والشعب في النظام السياسي الديني، وشرح قضاياها بشكل كامل، قضايا مثل المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الشرعي، ومعايير اختيار الحكام والمتطلبات المعنوية والأخلاقية لهم وللناس في النظام السياسي الديني كجزء من قضايا الأخلاق الاجتماعية.

خطب الأخلاق السياسية في نهج‌البلاغة

اتبع أمير المؤمنين (ع) في فترة حكومته القصيرة، سياسة فريدة لم يسبق لها مثيل من قبله وبعده، حيث عبر في خطبه عن المبادئ والسياسات العامة للنظام السياسي الإسلامي بشكل خاص وفريد من نوعه.

فقد ألغى النزعة الأحادية في الحقوق وأعلن رسميًا أن حقوق وواجبات الشعب والحكام هي حقوق وواجبات متبادلة وتؤثر على بعضها البعض. حقوق الشعب تعتبر واجبات الحكومة، وحقوق الحكام هو واجب الشعب تجاههم. إذا قام كل من الطرفين بأداء واجباته واحترام حقوق الطرف الآخر، فالعدالة والدين والأخلاق ستنمو وتظهر في المجتمع وسيطلب الشعب بقاء الحكومة؛ لكن بخلاف ذلك، فإن القهر والطغيان سيصبحان سائدين في المجتمع، وسيتم القضاء على الدين والقانون والأخلاق وستزداد البدعة في الدين ويعاني الناس من أمراض نفسية مختلفة (خطبة ۲۱٦).

في خطب أخرى، يعطي أمير المؤمنين (ع) تقدم

الأخلاق على السياسة ويذم الحيلة والخداع في أي موقف ومن قبل أي شخص، وخاصة من قبل الحكام والسياسيين (الخطبة ٢٠٠).

التواضع وعدم التظاهر بالثراء من أجل التعاطف مع الفقراء (خطبة ٢٠٩)، واحترام الحريات المشروعة للناس وعدم تسريع عقوبتهم (خطبة ٤٠)، والصدق (خطبة ٢٠٠) والأمانة هي من أهم فضائل الأخلاق الاجتماعية والضرورات الأخلاقية للحكام والساسة. وبالمقابل فإن الأنانية والكبرياء والغطرسة وحب المدح والتملق (خطبة ٢١٦) والظلم والبخل والخوف والجهل والرشوة (خطبة ١٣١) من الرذائل الأخلاقية التي تنهى خطب نهج‌البلاغة عنها خاصة بالنسبة للحكّام وقادة المجتمع.

قضايا أخرى مثل الإحسان للناس، وحماية الأموال العامة، وتعليم الناس (خطبة ٣٤)، وإقامة العدل في مختلف الجوانب، والعزم على مكافحة الفساد الاقتصادي تظهر في العديد من الخطب (انظر: الخطب ٣، ١٥، ٤٤، ١٢٦، ٢٢٤، ٢٣٢) ؛ وعلى الرغم من أنه يمكن اعتبارها للوهلة الأولى فعلًا أو عملًا جوانحيًا، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن السياق الرئيسي لهذه الأفعال متجذر في الأخلاق والشخصية والأفعال الجوانحية للفرد. في الواقع، الشخص أو الحاكم الذي يستخدم الأفعال المذكورة في الممارسة ويعتبرها واجبه، قد اتبع الطريقة الأخلاقية الصحيحة وستتحقق الشروط الأخلاقية اللازمة للحاكم فيه، على عكس الشخص أو الحاكم الذي يهمل هذه الأفعال ولا يبالي بها مما سيؤدي لتحقيق رذائل الأخلاق فيه وسيفقد الشروط الأخلاقية اللازمة للسيادة.

ومن أهم الآداب والمقتضيات الأخلاقية للناس تجاه الحكام، المذكورة في الخطب: طاعة القيادة، والالتزام بالولاء، والنصح والنقد البناء، والاستعداد العسكري للدفاع عن الوطن والدين (خطب ٣٤، ٢١٦). أما التملق والمديح لأصحاب الثروة والسلطة فهي أيضًا من الرذائل الأخلاقية التي يقوم بها عامة الناس لتحقيق أهدافهم المادية والدنيوية وتهيئة الأرضية لخلق هذه الرذيلة بين الحكام (وكذلك الأغنياء) (الخطبة ٢١٦) وكلا الفئتين يجب عليها تجنبها.

أسباب صدور خطب الأخلاق السياسية في نهج‌البلاغة

وبحسب بحث المؤلف، فإن عبارة "الوالي" في الخطب (١٣١ و ١٣٨ و ٢١٦) و "الرعية" في الخطبة (٢١٦) ولفظ "بهذا الأمر" في الخطبة (١٧٣) هي كلمات ومصطلحات مناسبة تشير إلى الحكم السياسي ويمكن أن تدرس معها خطب الأخلاق السياسية.

كلمة "الحكومة" مستخدمة ثلاث مرات في نصوص الخطب وأربع مرات في عناوين الخطب من قبل الشريف الرضي والمصححين، ورغم أنها تبدو كلمة خاصة بهذا الصدد، إلا أن الدراسات تبين أن الموضوعات المستخدمة في هذه الخطب لا تشير إلى الأخلاق السياسية. بالإضافة إلى ذلك، هناك أشكال مختلفة لكلمة "إمام" في (٣ خطب) حيث جاءت على شكل معرفة "الإمام" وفي (١٠ خطب) وعلى شكل نكرة "إمام" وفي (٦ خطب) بشكل جمع "أئمة"، وفي (خطبتين) تم استخدام مصدر "الإمامة"، لأنه أحيانًا يشير إلى الإمامة العامة وأحيانًا وفقًا للمعتقد الشيعي، يشير إلى الإمامة الخاصة وأيضًا بسبب الاختلاف في المعاني والتفسيرات المقدمة لهذه الكلمات، فهي بحاجة إلى دراسة خاصة وإحصاءات دقيقة أخرى، اذًا لا تعتبر هذا المصطلح مناسب للاشارة الى الساسة في المعنى العام في كل مكان.

تظهر الأبحاث أنه في ٣٣ خطبة على الأقل من نهج‌البلاغة، ذكرت مبادئ وسياسات الحكومة الدينية، وكذلك الواجبات الأخلاقية والمتبادلة بين الحكام والشعب تجاه بعضهم البعض، وكذلك المتطلبات الاقتصادية والعسكرية للحكومة. وهذه الخطب عبارة عن: (الخطب ٣، ٦، ١٥، ١٦، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٩٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣٢) (انظر: دين پرور، ٢٠١٥م، صص٣١-٤٧ و كريم محمد، ١٣٦٦، ص٢٤٢-٢٥٥)[١].

١. استند ترتيب الخطب في كتاب نظام الحكم لدين برور على النسخة المصححة لفيض الإسلام التي أعيدت بترتيب صبحي صالح على التوالي، بناءً على مطابقة الخطب وجداول مقارنة الخطب في إصدارات مختلفة.

النتيجة

۱. أسباب صدور خطب الأخلاق الاجتماعية في نهج‌البلاغة هي: عودة الأخلاق والعادات الجاهلية، واهتمام المجتمع المفرط بالدينا وإهمال الآخرة، ونسيان مكانة أهل البيت وعدم مراعاة الأخلاق تجاههم، وجهل الناس بالأخلاق السياسية، ومقتضيات الأخلاق المتبادلة بين الشعب والحكام.

۲. انتعشت أفكار الجاهلية وأخلاقياتها في المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وقد تحدث الإمام علي (ع) في ٥٢ خطبة من نهج‌البلاغة حول ضرورة محاربة هذه الثقافة وبين أخلاق وآداب الجاهلية وأشار إلى دور الرسول الاكرم (ص) في إرشاد الناس وإنقاذهم من الجاهلية.

۳. تسبب التمييز الاجتماعي والرفاه الاقتصادي لصالح طبقات معينة في المجتمع في انقسامات طبقية شديدة وعزز رذيلة حب الدنيا والجشع. كما استجاب الإمام علي (ع) لهذه القضية في ٥٢ خطبة من مختلف النواحي وبطريقة خاصة لتعديل وتصحيح هذه الرذيلة، وتعتبر هذه القضية من أكثر القضايا تكرارًا في سياق صدور خطب نهج‌البلاغة.

۴. فقد أهل بيت النبي الكريم (ص) بعد وفاته دورهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والدينية، وفرض حكام ذلك العصر العديد من القيود عليهم. شرح الإمام علي (ع) خلال فترة حكمه في ۲۳ خطبة فضائلهم ودورهم في المجتمع الإسلامي وإحياء دورهم.

۵. إن جهل الناس والحكام بمتطلبات الأخلاق الاجتماعية المتبادلة بين الناس والحكام، وكذلك عدم شرح مبادئ وسياسات النظام الديني من قبل الآخرين، دفع الإمام علي (ع) للتعبير عنها في ۳۳ خطبة من نهج‌البلاغة.

المصادر

القرآن الكريم

ابن ابی الحدید، عزالدین. (۱۹۱۹). شرح نهج‌البلاغه. قم: کتابخانه آیت الله مرعشی نجفی.

ابن منظور، محمد. (۱۹۹۳). لسان العرب. بیروت: دار صادر.

اسدی، عادل. (۲۰۰۷). مع المشککین فی نهج‌البلاغه. قم: مکتبه العزیزی.

اسعد، طارق. (۲۰۰۱م). علم اسباب ورود الحدیث. بیروت: دار الحزم.

اشرف آل طه، حیدر. (۲۰۱۹م). اسباب صدور خطبه‌های اخلاق اجتماعی وتأثیر آن بر نهج‌البلاغه. رساله دکتراه، تهران: جامعة المذاهب الاسلامیة.

امانلو، مسعود. (۲۰۱٤م). توجه به سبب صدور به مثابه روشی برای پویایی اجتهاد در دوران معاصر. بلاغ مبین، ۸۵-۱۰٦.

امینی، عبدالحسین. (۱۹۹۵). الغدیر في الکتاب والسنة والادب. قم: مرکز الغدیر للدراسات الاسلامیة.

بلاذری، احمد. (۱۹۹٦م). انساب الاشراف. بیروت: دار الفکر.

بیضون، لبیب. (۱۹۹۷). تصنیف نهج‌البلاغه. قم: مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی.

حاجی خانی، علی. (۲۰۱۲). اصاله نهج‌البلاغه من منظور الدراسه الموضوعیه الاسلوبیه. تهران: دانشگاه تربیت مدرس.

حاجی خانی، علی، کاوس روحی برندق و علیرضا صفاریان همدانی. (۲۰۱٦م). شبهه دنیاگرییزی ویادمرگ در نهج‌البلاغه ونقد آن با تکیه بر فضای صدور. فصلنامه پژوهشنامه نهج‌البلاغه، ۸۱-۹۸.

حنفی دمشقی (ابن حمزه)، سیدابراهیم. (۱۹۱۱). البیان والتعریف في اسباب ورود الحدیث الشریف. حلب: مطبعة البهاء.

خضری، علی. (۲۰۱۸م). نگرشی بر فخریات امام علی(ع) در نهج‌البلاغه (اسباب و انگیزه ها). پژوهشنامه نهج‌البلاغه، ۸۱-۱۰٤.

خوئی، حبیب الله. (۱۹۳۹). منهاج البراعه فی شرح نهج‌البلاغه. تهران: مکتبه الاسلامیه.

دلشاد تهرانی، مصطفی. (۲۰۱۳م). لوح بینائی. تهران: انتشارات دریا.

دین پرور، جمال الدین. (۲۰۱۵م). راهنما شناسی. تهران: بنیاد نهج‌البلاغه.

ـــــــــــــ (۲۰۱۵م). نهج‌البلاغه موضوعی (آیین حکمروایی). تهران: بنیاد نهج‌البلاغه.

ریاحی مهر، باقر، سیدعیسی مسترحمی. (۲۰۱۵م). نقش فضای صدور در نهج‌البلاغه. پژوهشنامه نهج‌البلاغه، ۱۱۵-۱۳۲.

سلیمانی، داود. (پاییز وزمستان ۲۰۰٤م). اسباب صدور حدیث. مقالات و بررسیها، ٦٥-۷۹.

السیدرضی، سیدمحمد. (بی تا). نهج‌البلاغه. (محقق: صبحی صالح) قم: دار الهجره.

سیدکیلانی، محمد. (بی تا). اثر التشیع فی الادب العربی. قاهره: لجنه النشر للجامعیین.

سیوطی، عبدالرحمن. (۱٤۱٦ق/۱۹۹٦م). اسباب ورود الحدیث او اللمع فی اسباب ورود الحدیث. بیروت: دار الفکر.

شوشتری، محمدتقی. (۱۹۹۷م). بهج الصباغه فی شرح نهج‌البلاغه. تهران: انتشارات امیرکبیر.

ضیف، شوقی. (بی تا). تاریخ الادب العربی. قاهره: دارالمعارف.

طبری، محمد بن جریر. (۱۹٦۷م). تاریخ طبری. بیروت: دار التراث.

قطب، سید. (۲۰۰٤). في ظلال القرآن. بیروت: دار الشروق.

کریم محمد، اویس (۱۹۸۷م). المعجم الموضوعی لنهج‌البلاغه، مشهد: بنیاد پژوهشهای اسلامی آستان قدس رضوی.

کلینی، محمد. (۱۹۸۷). الکافی. تهران: دار الکتب الاسلامیة.

مسعودی، عبدالهادی. (۱۹۹۷م). عرضه حدیث بر امامان. علوم حدیث، ۲۹-٥٤.

مسعودی، علی. (۱۹۸۹م). مروج الذهب. قم: دار الهجره.

مطهری، مرتضی. (۲۰۰٥م). جامعه و تاریخ. در مجموعه آثار شهید مطهری. تهران: انتشارات صدرا.

ـــــــــــــ (۲۰۱٤م). سیری در نهج‌البلاغه. تهران: انتشارات صدرا.

معارف، مجید. (۲۰۰٦م). رابطه تاریخ وفهم ونقد حدیث. پژوهش دینی، ٥۳-۷۰.

مکارم شیرازی، ناصر. (۱۹۹٦م). پیام امام. تهران: دارالکتب الاسلامیه.

موسوی، محسن باقر. (۲۰۰۲). المدخل الی علوم نهج‌البلاغه. بیروت: دار العلوم.

هیئت تحریریه نهج‌البلاغه. (۱۹۹٤م). با نهج‌البلاغه آشنا شویم. در نهج‌البلاغه و گردآورنده آن (ص. ۱٥۷-۲۰۱). تهران: بنیاد نهج‌البلاغه.

ورام، مسعود. (۱۹۹۰). تنبیه الخواطر و نزهة النواظر (مجموعة ورام). قم: مکتبة فقیه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

جایگاه فضای صدور در خطبه‌های نهج‌البلاغه با تکیه بر موضوع اخلاق اجتماعی

سید حیدر اشرف آل طه[۱]، علی اسودی[۲]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۸/۰۶/۱۴ **تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۰۲/۲۳**

۱. استادیار علوم قرآن وحدیث مرکز آموزش زبان دانشگاه امام صادق(ع) تهران، ایران (نویسنده مسئول)؛ aletaha222@isu.ac.ir
۲. استادیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران؛ asvadi@khu.ac.ir

چکیده

فضای صدور احادیث به اوضاع و شرایط فرهنگی، سیاسی و اجتماعی جامعه در زمان صدور روایات، اطلاق می‌شود و با توجه به آنکه بخش قابل‌توجهی از سخنان معصومان (ع) بر اساس نیاز افراد یا جامعه زمان خود ایراد شده، شناخت و فهم سبب صدور سخنان آنها، تأثیر بسزایی در فهم صحیح کلام ایشان خواهد داشت. در این میان خطبه‌ها از آن روی که بر اساس مقتضیات زمان وتفکرات گویشوران ایراد شده، در این مورد از اهمیت بیشتری برخوردار خواهد بود. این پژوهش با رویکرد توصیفی تحلیلی وبا روش گردآوری کتابخانه‌ای به بررسی اسباب صدور عام خطبه‌های اخلاق اجتماعی جامعه اسلامی در نهج‌البلاغه می‌پردازد و بر اساس تحلیل متن خطبه‌ها و نیز تاریخ و سیره امام‌علی (ع)، سبب صدور خطبه‌ها را مورد بررسی قرار داده است. یافته‌های پژوهش حاکی از آن است که امام‌علی (ع) در خطبه‌های خود، چهار موضوع محوری را بیشتر موردتوجه و تأکید قرار می‌داد. زنده شدن دوباره اخلاق و تفکرات جاهلی از جمله تعصبات قومی و قبیله‌ای، دنیاپرستی واهمال مرگ وآخرت توسط مردم، فراموشی نقش وجایگاه اهل‌بیت در جامعه اسلامی وبیان اخلاق اجتماعی متقابل حاکمان ومردم چهار محور اساسی در خطبه‌ها می‌باشد. همچنین امام‌علی (ع) بر اساس نیاز جامعه و فضای اخلاقی و اجتماعی حاکم بر آن، برای اصلاح و تعدیل این مؤلفه‌ها و راهنمایی مردم درباره هریک از موضوعات فوق‌الذکر سخنان ویژه‌ای را در خطبه‌های خود جای داد. جامعه آماری هریک از مؤلفه‌ها در نهج‌البلاغه نیز به‌عنوان نمونه بارز سخنان امیرالمؤمنین (ع) می‌تواند نشانه مناسبی برای میزان اهتمام ایشان به آنها تلقی شود.

کلیدواژه‌ها: سبب صدور، نهج‌البلاغه، اخلاق اجتماعی.